

ولم تقارف الذنوب، وفرقة قارفت الذنوب، فلم ينجو من العذاب إلا من نهى...»^(١).

فهم إذاً «صنف ائتمروا وأمروا فنجوا، وصنف ائتمروا ولم يأمرؤا فمسخوا ذراً وصنف لم يأتمروا ولم يأمرؤا فهلكوا»^(٢)

وهؤلاء الآخرون هم الذين ﴿قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ وهذا جزاء وفاق أنكم كما جعلتم أنفسكم قرداً خاسئاً فلتكن أبدانكم كأنفسكم، مسخاً عن صورة الإنسانية كما مسختم عن سيرتها، فقد انتكسوا إلى عالم الحيوان حين تخلوا عن خصائص الإنسان، فقبل لهم قيلة التكوين: كونوا حيث صنعتم بأنفسكم، كذلك بأبدانكم انتكاساً إلى هوان الحيوان.

كما وأن الساكتين مسخوا ذراً إذ كان موقفهم موقف الذر حيث كانوا سكوتاً عن النهي في ذلك المسرح القاحل المتعاضل.

وهنا ﴿خَاسِئِينَ﴾ وصفاً لـ ﴿قِرَدَةً﴾ تميزهم عن سائر القردة، حيث القردة الحيوان ليست خاسئاً بعيدة عن رحمة الله لأنها خلقت قردة فما ذنبها إذا حتى تخسأ؟.

ولكن هؤلاء الخاسئين إنما خسئوا بكونهم خاطئين فتحولهم إلى قردة - إذاً - عذاب لهم في الأولى فلتكن أرواحهم كما هي، والتحول يخص أبدانهم حتى يدركوا عذاب ذلك التحول، فهم ليس لهم نسل ولا بقاء، ولا يجانسون سائر القردة في سائر المميزات حتى ينسلوا، وكما يروى عن رسول

(١) نور الثقلين ٢: ٩٠ عن تفسير العياشي عن طلحة بن زيد عن جعفر بن محمد عن أبيه عليه السلام في الآية قال: افترق... قال قلت لأبي جعفر عليه السلام: ما صنع بالذين أقاموا ولم يقارفوا الذنوب؟ قال: بلغني أنهم صاروا ذراً».

(٢) المصدر عن روضة الكافي عن أبي عبد الله عليه السلام في الآية قال: أقول: الذين ائتمروا وأمروا هم الذي لم يعدوا ولم يسكتوا فنجوا، والذين ائتمروا ولم يأمرؤا هم الذين سكتوا، والآخرون الذين لم يأتمروا ولم يأمرؤا هم الذين عدوا.

الهدى ﷺ «إن الله لم يمسح شيئاً فجعل له نسلًا وعقباً»^(١) ذلك وقد دلت على ما تنبهناه روايات مضت ومنها ما لم ننقلها .

ذلك خزي لهم في الحياة كأشخاص خصوص، ومن ثم خزي لهم يشملهم ما هم متخلفون عن شرعة الله :

﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لِيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٧﴾﴾ :

والتأذن هو التكلف بأذان: النداء الإعلان الإعلام، وهو مأوّل لساحة الربوبية بكثرة النداء ومبالغته، وهنا ﴿رَبُّكَ﴾ لمحة إلى مدى ذلك التأذن للحفاظ على هذه الشرعة الربانية الخاصة التي تعاديها الصهيونية العالمية، وتتربص بها كلّ دوائر السوء .

كلام حول الحيلة - الشرعية!

الحيلة - كيفما كانت - لا دور لها في أحكام الله، وكيف يحتال الله في حكمه أم يسمح بحيلة تحول بين حكمه وتحقيقه، وما هي الحاجة إلى الحيلة في أحكام الله، والله هو الحاكم يحكم كيف يشاء؟! فحين يقول ﴿وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾^(٢) لا يعني إلّا واقع الأكل بالباطل لواقع الاختلال المعيشي فيه، حيث الربا هو الزيادة عن المستحق فهو باطل عاطل، فهل الحيل الربوية تحوّل الأكل بالباطل إلى الحق، بحيلة لفظية أو عملية، والمحرّم هو واقع الربا دون لفظته وصيغته .

وترى هنا فارقاً في واقع الأكل بالباطل بين من يربي ماله بقدر قدر زمن

(١) المصدر عن مجمع البيان وردت الرواية عن ابن مسعود قال قال رسول الله ﷺ : وفي الفقيه قد روي أن المسوخ لم تبق أكثر من ثلاثة أيام وأن هذه مثل لها فنهى الله ﷻ عن أكلها .

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٧٥ .

القرض، بألف، وبين من يبيع عشرة آلاف مع سمّ الخياط بأحد عشر ألفاً بنفس القدر؟ وليس يباع عشرة آلاف بأحد عشر ألفاً، ولا سمّ الخياط بألف! إلا سفاهة وحمافة هي تبطل المعاملة قبل كونها أكلاً بالباطل.

ولو استحلّت الحيلة الشرعية في هذه الأمور التي هي محظورة بواقعها، لحلت كلّ المحرمات الواقعية بهذه الحيل، وأصبح شارع الشرعة بواقعها، هادماً لها بالحيل التي تحول دون تحقيق الحق فيها، ولأمكن تحليل كلّ ألوان المعاملات الربوية بيعاً وقرضاً وما أشبهه.

وهنا الروايات المتعارضة في حيل الربا معروضة على ﴿وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾ حيث إن واقع الربا لا يزول بهذه المحاولات المزاولات^(١).

(١) للاطلاع الواسع على أحكام الربا ومواضعها ومواضعها راجع هنا الفرقان (٤: ٣٠٧ - ٣٦٠).

ومما يمنع عن أمثال هذه الحيل ما في النهج عن علي عليه السلام أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له: يا عليّ إن القوم سيفتنون بأموالهم . . . ويستحلون حرامه بالشبهات الكاذبة والأهواء الساهية فيستحلوا الخمر بالنيذ والسحت بالهدية والربا بالبيع.

وفي الدر المنثور ١: ٣٦٧ - أخرج أبو داود وابن ماجه والبيهقي في سننه عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ليأتين على الناس زمان لا يبقى أحد إلا أكل الربا فمن لم يأكله أصابه من غباره» وعن الإمام الرضا عليه السلام في حكمة حرمة الربا: «... لأن الإنسان إذا اشترى الدرهم بالدرهمين كان ثمن الدرهم درهماً وثمان الآخر باطلاً، فبيع الربا وشراؤه وكس على كلّ حال على المشتري وعلى البائع» (الوسائل ١٢: ٤٢٤).

وتقابل هذه النصوص، روايات أخرى تحاول تحليل الحيل في حقل الربا، كما في التهذيب ٢: ١٤٦ صحيح البيهقي قال: سألته عن الصرف فقلت له: أشتري ألف درهم وديناراً بألفي درهم؟ فقال: لا بأس بذلك، إن أبي كان أجراً أهل المدينة مني وكان يقول هذا فيقولون: إنما هذا الفرار، لو جاء رجل بدينار لم يعط ألف درهم ولو جاء بألف درهم لم يعط ألف دينار، وكان يقول: «نعم الشيء الفرار من الحرام إلى الحلال».

وفي المصدر صحيح آخر عنه قال: كان محمد بن المنكدر يقول لأبي جعفر عليه السلام: يا أبا جعفر رحمك الله والله إنا لنعلم أنك لو أخذت ديناراً والصرف ثمانية عشر فزت المدينة على أن تجد من يعطيك عشرين ما وجدته وما هذا الفرار؟ وكان أبي يقول: «صدقت والله لكنه فرار من الباطل إلى الحق».

ذلك، وهنا يجدر ذكرى إمام المتقين علي عليه السلام حيث يحظر عن أحاديث تخالف القرآن يتبعونها ويخالفون كتاب الله بقوله: «اعزم على كل من كان عنده كتاب إلا رجع فمحاها، فإنما هلك الناس حيث اتبعوا أحاديث علمائهم وتركوا كتاب ربهم»^(١).

كلام حول حدود الأمر والنهي:

كما أن نطاق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واسع بالنسبة للمأمور والمنهي، فلا يشترط حاضر التأثير ولا جوازه، وإنما هما ﴿عُدْرًا أَوْ نُدْرًا﴾.

كذلك الأمر والنهي لا يشترط فيهما الائتثار بكل أمر والانتهاه عن كل نهي، وإلا لم يحصل كفاح وكفاف في حقل الأمر والنهي، فإنما الشرط هنا ائتمار الأمر بما يأمر به وانتهاء النهي عما ينهى عنه، فالتارك للمأمور به والمقترب للمنهي عنه، ولا سيما المتجاهر، ليس له الأمر والنهي كما تدل عليه آيات وروايات مسرودة في بابه بصورة مفصلة^(٢).

فالأمر والنهي ما لم يحملا ضرراً هما أهم من تركهما على الأمر والنهي، أو من فعلهما على المأمور والمنهي، هما مفروضان، فما لم

= وفي ثالث عنه: «لا بأس بألف درهم ودرهم بألف درهم ودينارين، إذا دخل فيها ديناران أو أقل أو أكثر فلا بأس» (التهذيب ٢: ١٤٥).

فرغم صحة أسناد هذه الثلاثة، هي مضروبة عرض الحائط لأنها تحلل الأكل بالباطل بهذه الحيلة الغيلة، وكلاهما محرمان بآيات تحرم الأكل بالباطل وتحرم الربا وتحرم الحيلة كآية ﴿يَعْدُونَكَ فِي السَّبْتِ﴾ [الأعراف: ١٦٣].

(١) رجال الكشي ص ٢٢ عن جابر بن عبد الله عن عبد الله بن يسار سمعت علياً عليه السلام يقول: . . . وفيه عن سلمان الفارسي: «هربتم من القرآن إلى الأحاديث، وجدتم كتاباً دقيقاً حوسبتم فيه على النقيير والقطمير والفليل وحنة خردل فضاق بكم وهربتم إلى الأحاديث التي اتسعت عليكم!». . .

(٢) هي في تفسير آية البقرة ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ . . .﴾ [البقرة: ٤٤].

يحمل المأمور بأمره على تصلبه في ترك الواجب، أو يحمل المنهي بنهيه على تصلبه في ترك المحرم، فهما واجبان على سائر شروطهما.

إذاً، فقد يجب على تارك المعروف وفاعل المنكر خفية أن يأمر وينهى، ويحرم على الجاهر أن يأمر وينهى، قضية الهدف الاسمي من الأمر والنهي، فكل مؤمن له - على أية حال - مسؤوليتان اثنتان، تبني شخصه مؤمناً، وتبني الآخرين، بصورة مترتبة أو متوازية، ما لم يضر في تبني الآخرين بأصل الهدف.

ولأن الشريعة القرآنية عالمية أممية أبدية لصالح كل الأمم، فليدربنا عند ما يُمس من كرامتها من قبل الصهيونية العالمية بذلك البعث البعث البحث: ﴿لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ منذ بداية تأريخ الإفساد العالمي منهم ﴿مَنْ يَسُوهُمْ﴾ اضطراراً دون قرار ﴿سُوءَ الْعَذَابِ﴾ المتواصل لـ ﴿إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ﴾ وأشد المعاقبين في موضع النكال والنقمة ﴿وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ وأرحم الراحمين في موضع العفو والرحمة.

لذلك نراهم طول تأريخهم المنحوس شذراً مذراً، متفرقين أيادي سباً دون أية دولة لهم خاصة، اللهم إلا دويلة العصابات حيث احتلت فلسطين والقدس بمساعدة كل سواعد الكفر والاستكبار شرقاً وغرباً، وحتى القيادات العربية التي فسحت المجال لذلك التجوال والاعتداء، أم وساعدتها على ذلك، ولكنها ما ظلت آمنة مطمئنة من بأس مبعوثي الله من مؤمنين وكافرين، فالبعثة الإيمانية عليهم هي الخاصة المباشرة بها لمرتها في آيات الأسرى: ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولَىٰ بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا... فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسْتَعْتُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا﴾^(١).

(١) سورة الإسراء، الآيات: ٥-٧.

ثم البعثة الإيمانية المستمرة من قبل الفدائيين المسلمين في مختلف أنحاء العالم الإسلامي، ومن ثم البعثة الكافرة كالهتارية وما أشبه، التي دمرتهم، فكما ﴿أَنَا أَرْسَلْنَا الشَّيْطَانَ عَلَى الْكٰفِرِينَ تَوَهُّمًا أَزًّا﴾ (١) ﴿وَقِيصْنَا لَهُمْ قُرْآنًا فَرَيْنُوا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ (٢) كذلك ﴿لِيُبَعَثَنَّ...﴾ قد تعم كلا البعثين حيث الشيطنة الإسرائيلية تعم في إفسادها كل ربوع العالمين مؤمنين وكافرين، فلتستمر - إذاً - تلك البعثة المختلطة عليهم إلى يوم القيامة.

فذلك التأذن بتواتر سوء العذاب منذ صدوره على ضوء ذلك البعث المستمر، يختص بالصهيونية العالمية في فترات متلاحقة من الزمن إذ يبعث الله عليهم بين آونة وأخرى من يسومهم سوء العذاب، وكلما انتعشوا وانتفشوا وطمغوا في الأرض وبعغوا أكثر، جاءتهم الضربة كما هم ضاربون، وليست دويلة العصابات وتغلبها على أراض وبلاد إسلامية إلا في فترات عارضة غير فارضة، هي من قضايا تهاون المسلمين عن جهادهم وجهودهم المتواصلين.

ثم وهذه البعثة الربانية المنبثة بين بعثي الكفر والإيمان، هي بين تكوينية وتشريعية، وليست السيطرة الصهيونية في فترات كهذه التي طالت سنين، إلا من وراء وجرء فترة المبعوثين المؤمنين توانيا عن تحقيق واجبهم الإيماني في الدفاع عن حوزة الإيمان. ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ (٣).

ذلك، فهم أولاء الأنكاد يعيشون سوء العذاب بصورتها: المستمرة، والمرتين في إفساد العالميين.

(١) سورة مريم، الآية: ٨٣.

(٢) سورة فصلت، الآية: ٢٥.

(٣) سورة الرعد، الآية: ١١.

ذلك، وقد تبلغ بهم الحال العضال لحدّ «تقاتلون اليهود حتى يختبئ أحدهم وراء الحجر»^(١).

﴿وَقَطَعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَمًا مِّنْهُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالَّذِينَ بَدَأُوا بِالْحَيَاةِ وَالْآخِرَةِ وَأَنبَأُوا بِأَشْيَاءِ غَيْبٍ وَإِن لَّيَبْتَغُونَ عِشْرَةَ مِائَةٍ مِّنْهُنَّ لَيَكْفُرْنَ بِهَا وَلَئِن لَّمْ يَكْفُرْ لَبَّاسًا لَّيَبْتَسُوا بِهَا غِيبًا لِلَّذِينَ آمَنُوا وَإِن لَّيَبْتَغُونَ عِشْرَةَ مِائَةٍ مِّنْهُنَّ لَيَكْفُرْنَ بِهَا وَلَئِن لَّمْ يَكْفُرْ لَبَّاسًا لَّيَبْتَسُوا بِهَا غِيبًا لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾

هنا ﴿أُمَّمًا﴾ قد تعني إلى أمم مذهبية تحت قيادات روحية، أمماً تحت قيادات زمنية أنهم هم مقطّعون أمماً بين هذين وكما نجدهم أمماً حتى الآن رغم تأسيس دويلة العصابات، فمنهم من يرفضها فلا ينحو نحوها، ومنهم من يرفضها فينضم إليها، ومنهم عوان بين ذلك، فالصالحون منهم بين من يؤمن ومن هو قاصر فلا يؤمن، ومنهم دون ذلك بمختلف دركات الدون، وأنحسها الصهيونية التي قد لا تحسب بحساب الأمة الدينية حيث تغلبت عليها السياسة الإبليسية فنسيت أنها أمة دينية كتابية.

ذلك ﴿وَبَدَّلْنَاهُمْ بِأَحْسَنَ مِمَّا كَانُوا فِيهَا﴾ المرغوبة لديهم في الحياة ﴿وَأَلْسِنَاتٍ﴾ غير المرغوبة و﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ ويهودون إلى الله بعد ما هادوا عن الله، فمن الناس من يرجعه إلى الله الحسنة، ومنهم من ترجعه السيئة، ومنهم من لا يرجع إلى الله بحسنة ولا سيئة، والمتابعة بالابتلاء رحمة ربانية وقاية من النسيان المؤدي إلى الاغترار والبوار والطغيان.

ذلك، وقد يصدّق المروي عن النبي ﷺ أن «الناس لنا فيه تبع اليهود غداً والنصارى بعد غد» فقد يُعنى من الغد آخر الزمن قبل ظهور المهدي (عج) و«بعد الغد» زمنه (عج) راجع تفسير آيات الأسرى.

وكلُّ هذه البلايا المتواصلة ضدهم لأنهم عار وبوار على الإنسانية كلّها، لا فقط على المسلمين، أم والمسيحيين فحسب، حيث يرونهم

(١) الاطلاع الواسع على تفاصيل آيات الأسرى راجع ج ١٥ : ٣٧ - ٧٠ من هذا الفرقان.

أنفسهم فقط شعب الله المختار وأبناء الله الإخفاء، وهم الإنسان فقط دون سائر الناس، وإنما خلقوا بصورة الإنسان ليصلحوا حذاماً لشعب الله .

لذلك فهم يظلمون النسل الإنساني غير الإسرائيلي ويفسدونهم كما يستطيعون، ومن بالغ تزمُّتهم وتمسكهم بقوميتهم أن ليست لهم أية دعاية لجذب سائر الناس إلى شرعتهم اختصاصاً لهم بذلك الاختيار، واجتثاً له عمن سواهم من غير الشعب المختار! .

إذاً فليست لهم إيجابيات الدعوة الإسرائيلية لغيرهم، بل هم سلبيات تنحو منحى إفساد كلِّ الشعوب عن بكرتها، عن عقيدتها وفكرتها واقتصادياتها وسياساتها وعن كلِّ الميزات لإنسانيتها، ولكي تصدق تحيلتهم العمياء والحمقاء أنهم إنما خلقوا بصورة الناس، وليسوا من الناس! .

﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِثْلَهُ يَأْخُذُوهُ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ وَالِدَارُ الْأُخْرَى خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦٩﴾﴾ :

﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ أولاء المتخلفين الأنكاد البعاد ﴿خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ﴾ وهم علماءهم العملاء حيث ﴿يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى﴾ في متجر الكتاب، فيشترون به ثمناً قليلاً بكلِّ غرّة، حيث ﴿ويَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا﴾ ويكأن الله ضمن لهم مغفرة متواصلة متآصلة دونما شرط، فأصبحوا إباحيين رغم أنهم ﴿ورِثُوا الْكِتَابَ﴾ ثم ﴿وَإِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِثْلَهُ يَأْخُذُوهُ﴾ حيث الأخذ بهكذا وخز أصبح من جبلتهم، فهم تجار فجّار في حقل الكتاب وهم دارسوه، يقولون على الله غير الحق بغية أخذ هذا الأدنى، فليست دراسة في الكتاب وحدها تكفل تطبيقه حيث الإيمان هو الركن الركين المكين، فقد لا يدرس الكتاب لأنه أمي وهو مؤمن، ولكنه يطبقه تقليداً صالحاً من الربانيين الدارسين له، وقد لا يدرس ولا هو مؤمن، فهو فاقد الجناحين، ولكن الذي يدرسه ولا

يؤمن هو أخطر في هذا البين، فكم من دارسين الكتاب وهم عنه بعاد، إذ يدرسونه ليتأولوه ويحتالوا فيه ويحرفوا الكلم عن مواضعه، ناسين حظاً مما ذكروا به ولا تزال تطلع على خائنة منهم.

أجل، يدرسونه ليجدوا المخارج لفتاواهم الحارفة الهارفة الخارفة، ويريدون ليزينوا بالكتاب هذه الفتاوى النكاوى تدجياً على السذج البسطاء، فهم أخطر آفة على الدين والدينين، فإن غير الدارس للكتاب لا يستطيع أن يحرف الكتاب أو يأوله كما يهواه، فذلك الدارس للكتاب هو كارث على الكتاب حيث لا يتقي الله!

ومخترعو المذاهب المختلفة المتخلفة عن شرائع الله هم كلهم ممن درسوا في الكتاب فحولوه إلى ما يهون، وكأن الكتاب خادم لهم غير مخدم، فلا تجد عندهم سلعة أبور من الكتاب إذا تلي حق تلاوته، ولا أغلى منه إذا حُرِّف عن جهات أشراعه.

ذلك، ولأن كل ما دون الكتاب هو عَرَض هذا الأدنى، إذا فالأخذ بغير الكتاب برفض الكتاب، إنه من عَرَض هذا الأدنى، بل وأدنى من كل أدنى. فرفض الكتاب بأخذ مال أو أي منال رفض، ورفضه بأخذ كتاب آخر تقديماً له عليه رفض، وأين رفض من رفض؟!.

فيا للحوزات الراضية للقرآن من بأس وبؤس، تفسح كافة المجالات لأقلام سامة تمس من كرامته بسند آياته نفسه كما تهوى.

هؤلاء ورثوا الكتاب بظلم إذ لم يحرسوا الكتاب، فحرسه الكتاب بحق هم - فقط - ورثة الكتاب، كما ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾^(١).

(١) سورة فاطر، الآية: ٣٢.

فهم أولاء الأكارم ورثة الكتاب بالحق المطلق وكما يُروى عن رسول الكتاب ﷺ قوله: «علي وارثي»^(١) كما هو «وارث علم النبيين»^(٢) و«مستودع مواريث الأنبياء»^(٣) و«أنت وصيي ووارثي»^(٤).

﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾؟ أفلا تستعملون عقولكم التي هباكم الله إياها لتعقلوا الحق فتفرضوه، وتعقلوا الباطل فترفضوه؟ «عجبت لمن يتفكر في مأكوله كيف لا يتفكر في معقوله، فيجنب بطنه ما يؤذيه، ويودع صدره ما يرويه» «ألا ومثل العقل في القلب كممثل السراج في وسط البيت»^(٥) وقد «خلق الله تعالى العقل من أربعة أشياء: من العلم والقدرة والنور والمشية بالأمر، فجعله قائماً بالعلم، دائماً في الملكوت» «وللعقل مراتب ودرجات قضية الحكمة الربانية»^(٦) ﴿أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ﴾

(١) ملحقات إحقاق الحق ٤: ٦٩ - ٧١، ٧٥، ٧٩، ٩٩، ١٠٠، ١٦٠، ١٧٢، ١٧٨، ٢٢٧، ٢٧٧، ٣٥٧ و٥: ٣٥، ٣٧، ٤١، ٥٠، ٢٧٧، ٣٥٧، ١٩١ و١٥ - ١٩٥ و٧: ٤١٤ و٢٠: ٢٢٠، ٤٤٥ - ٤٤٦.

(٢) المصدر ٤: ١٢٢.

(٣) المصدر ٤: ١٧٠ و٢٠: ٣٠٩، ٣١١، ٤٠٧.

(٤) المصدر ٤: ٨٢، ١٦٠ و٢٠: ٢٣٠.

(٥) العوالم (٢ - ٣) عن العلل عن أمير المؤمنين عن رسول الله ﷺ: «سُئِلَ مِمَّ فَلَقَ اللَّهُ ﷻ العقل؟ قال: خلقه ملك له رؤوس بعد الخلائق، من خلق ومن خلق إلى يوم القيامة، ولكل رأس وجه، ولكل آدمي رأس من رؤوس العقل، واسم ذلك الإنسان على وجه ذلك الرأس مكتوب، وعلى كل وجه ستر ملقى لا يكشف ذلك الستر من ذلك الوجه حتى يولد هذا المولد، ويبلغ حد الرجال أو حد النساء، فإذا بلغ كشف ذلك الستر، فيقع في قلب هذا الإنسان نور، فيفهم الفريضة والسنة، والجيد والردّي، ألا...».

(٦) المصدر ٤٢ عن العلل عن إسحاق بن خالد قال: قلت لأبي عبد الله ﷺ: الرجل آتية أكلمه ببعض كلامي فيعرف كلّه، ومنهم من آتية فأكلمه بالكلام فيستوفي كلامي كله ثم يرده عليّ كما كلمته، ومنهم من آتية فأكلمه فيقول: أعد عليّ؟ فقال: يا إسحاق! أو ما تدري لم هذا؟ قلت: لا، قال: الذي تكلمه ببعض كلامك فيعرف كلّه فذاك من عجنت نطقه بعقله، وأما الذي تكلمه فيستوفي كلامك ثم يجيبك على كلامك فذاك الذي ركب عقله في بطن أمه، وأما الذي تكلمه بالكلام فيقول: أعد عليّ فذاك الذي ركب عقله فيه بعدما كبر فهو يقول: أعد عليّ».

وهم ورثة الكتاب ودرسته حيث ﴿وَرِثُوا الْكِتَابَ... وَدَرَسُوا مَا فِيهِ﴾؟ تفضيلاً
للدنيا على الآخرة ﴿وَالدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ الدنيا المناحرة لها،
المنافية إياها ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾؟.

ذلك «ولن تأخذوا بميثاق الكتاب حتى تعرفوا الذي نقضه، ولن
تمسكوا به حتى تعرفوا الذي نبذه، فالتمسوا ذلك من عند أهله فإنهم عيش
العلم وموت الجهل، هم الذين يخبركم حكمهم عن علمهم، وصمتهم عن
منطقهم، وظاهرهم عن باطنهم، لا يخالفون الدين ولا يختلفون فيه، فهو
بينهم شاهد صادق وصامت ناطق»^(١).

وهنا ﴿سَيُغْفَرُ لَنَا﴾ طليقة دون تقييد بتوبة، وتحتيماً دون قرن برجاء، إنه
دليل أنهم كانوا يحتمون على الله الغفران رغم مواصلة العصيان، وذلك من
أنحس العصيان! فما داؤهم؟ وما داؤهم؟ وما بالهم يقولون ﴿سَيُغْفَرُ لَنَا﴾
متهافتين على عرض هذا الأدنى، وكأنه هو الذي يحتم الغفر على الله، فهم
أولاء يبررون لأنفسهم ذلك بتقول تغول على الله أنه ﴿سَيُغْفَرُ لَنَا﴾ وهم
بدراستهم للكتاب يعلمون أن الله لا يغفر إلا للتائب حقاً توبة نصوحاً، دون
هؤلاء المصرين الذين ﴿وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُ يَأْخُذُوهُ﴾ إصراراً وتكراراً للذنب!.

ذلك وقد أخذ عليهم ميثاق الكتاب في مجالات عدة منها الآتية في
﴿وَإِذْ نَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُوا أَنَّهُ وَقِعٌ بِهِنَّ خُدُوءٌ مَّا ءَاتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ
وَأَذَكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾^(٢) ولكنهم رغم أنهم ورثوا الكتاب ودرسوا ما فيه
أخذوا يأخذون بديله عرض هذا الأدنى، وكل ما يؤخذ ثمناً عن الكتاب،
هو عرض أدنى من كل دان لأنه فان، والآخرة خير وأبقى للذين آمنوا وكانوا
يتقون ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾؟.

(١) المصدر عن الاختصاص للمفيد عن الصادق عليه السلام.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٧١.

وللعقل - ككُلّ - جنود بمشتقاته هي كُلهَا عقال للنفس بجنودها، وكما يُروى عن النبي ﷺ: «إن العقل عقال من الجهل، والنفس مثل أخبث الدواب فإن لم تعقل جارت، فالعقل عقال من الجهل، وإن الله خلق العقل فقال له: أقبل فأقبل، وقال له: أدبر فأدبر، فقال الله تبارك وتعالى: وعزتي وجلالي ما خلقت خلقاً أعظم منك، ولا أطوع منك، بك أبدأ وبك أعيد وعليك العقاب، فتشعب من العقل ١ الحلم، ومن الحلم ٢ العلم، ومن العلم ٣ الرشد، ومن الرشد ٤ العفاف، ومن العفاف ٥ الصيانة، ومن الصيانة ٦ الحياء، ومن الحياء ٧ الرزانة، ومن الرزانة ٨ المداومة على الخير، ومن المداومة على الخير ٩ كراهية الشر، ومن كراهية الشر ١٠ طاعة الناصح - فهذه عشرة أوصاف من أنواع الخير، ولكل واحد من هذه العشرة الأصناف عشرة أنواع - فأما الحلم فممنه ١ ركوب الجميل، ٢ وصحبة الأبرار، ٣ ورفع من الضعة، ورفع من الخساسة، وتشهّي الخير، ويقرب صاحبه من معالي الدرجات، والعفو والمهل، والمعروف والصمت، فهذا ما يتشعب للعاقل بحلمه -

وأما العلم فيتشعب منه الغنى وإن كان فقيراً، والجود وإن كان بخيلاً، والمهابة وإن كان هيناً، والسلامة وإن كان سقيماً، والقرب وإن كان قصباً، والحياء وإن كان صلفاً، والرفقة وإن كان ضيعاً، والشرف وإن كان رذلاً، والحكمة، والحظوة، فهذا ما يتشعب للعاقل لعلمه فطوبى لمن عقل وعلم - وأما الرشد فيتشعب منه السداد، والهدى، والبر، والتقوى، والمنالة، والقصد، والإقتصاد، والثواب، والكرم، والمعرفة بدين الله، فهذا ما أصاب العاقل بالرشد، فطوبى لمن أقام به على منهاج الطريق - وأما العفاف فيتشعب منه: الرضا، والاستطانة، والحظ، والراحة، والتفقد، والخشوع، والتذكر، والتفكير، والجود، والسخاء، فهذا ما يتشعب للعاقل بعفافة رضي بالله بقسمه، وأما الصيانة فيتشعب منها: الصلاح، والتواضع، والإنابة، والفهم،

والأدب، والإحسان، والتحجب، والخير، واجتناب الشر، فهذا ما أصاب العاقل بالصيانة، فطوبى لمن أكرمه مولاه بالصيانة - وأما الحياء فيتشعب منه: اللين، والرأفة، والمراقبة لله في السر والعلانية، والسلامة، واجتناب الشر، والبشاشة، والسماحة، والظفر، وحسن الثناء على المرء في الناس، فهذا ما أصاب العاقل بالحياء، فطوبى لمن قبل نصيحة الله وخاف فضيحته - وأما الرزانة فيتشعب منها: اللطف، وأداء الأمانة، وترك الخيانة، وصدق اللسان، وتحصين الفرج، واستصلاح المال، والاستعداد للعدو، والنهي عن المنكر، وترك السفه، فهذا ما أصاب العاقل بالرزانة فطوبى لمن توقّر ولمن لم تكن له خفة ولا جاهلية وعفا وصفح.

وأما المداومة على الخير فيتشعب منه: ترك الفواحش، والبعد من الطيش، والتحرّج، واليقين، وحب النجاة، وطاعة الرحمن، وتعظيم البرهان، واجتناب الشيطان، والإجابة للعدل، وقول الحق، فهذا ما أصاب العاقل بمداومة الخير، فطوبى لمن ذكر أمامه، وذكر قيامه، واعتبر بالفناء -

وأما كراهية الشرّ فيتشعب منه: الوقار، والصبر، والنصر، والاستقامة على المنهاج، والمداومة على الرشاد، والإيمان بالله، والتوقر، والإخلاص، وترك ما لا يعنيه، والمحافظة على ما ينفعه، فهذا ما أصاب العاقل بالكراهية للشر، فطوبى لمن أقام الحق لله وتمسك بعرى سبيل الله -

وأما طاعة الناصح فيتشعب منها: الزيادة في العقل، وكمال اللب، وممهرة العواقب، والنجاة من اللوم، والقبول، والمودة، والإسراج، والإنصاف، والتقدم في الأمور، والقوة على طاعة الله، فطوبى لمن أسلم من مصارع الهوى، فهذه الخصال كلها تتشعب من العقل -

قال شمعون: فأخبرني عن أعلام الجاهل فقال رسول الله ﷺ: إن صحبته عنّا، وإن اعتزلته شتمك، وإن أعطاك منّ عليك، وإن أعطيته

كفرك، وإن أسررت إليه خانك، وإن أسرّ إليك اتهمك، وإن استغنى بطر، وكان فظاً غليظاً، وإن افتقر جحد نعمة الله ولم يتحرّج، وإن فرح أسرف وطغى، وإن حزن آيس، وإن ضحك فهق، وإن بكى خار، يقع في الأبرار، ولا يحب الله، ولا يراقبه، ولا يستحيي من الله، ولا يذكره، إن أرضيته مدحك وقال فيك من الحسن ما ليس فيك، وإن سخط عليك ذهبت مدحته ووقع فيك من السوء ما ليس فيك، فهذا مجرى الجاهل»^(١).

وعن الصادق عليه السلام: العاقل من كان ذلولاً عند إجابة الحق، منصفاً بقوله، جموحاً عند الباطل، خصيماً بقوله، يترك دنياه ولا يترك دينه، ودليل العاقل شيثان: صدق القول، وصواب الفعل، والعاقل لا يتحدث بما ينكره العقل، ولا يتعرض للتهمة، ولا يدع مداراة من ابتلي به، ويكون العلم دليله في أعماله، والحلم رفيقه في أحواله، والمعرفة تعينه في مذهب، والهوى عدو العقل، ومخالف الحق، وقربن الباطل، وقوة الهوى من الشهوة، وأصل علامات الشهوة أكل الحرام، والغفلة عن الفرائض، والاستهانة بالسنن، والخوض في الملاهي»^(٢).

وعنه عليه السلام: «الجهل صورة ركبت في بني آدم، إقبالها ظلمة، وإدبارها نور، والعبد متقلب معها كتقلب الظل مع الشمس، ألا ترى إلى الإنسان تارة تجده جاهلاً بخصال نفسه، حامداً لها، عارفاً بعيبها، في غيره ساخطاً، وتارة تجده عالماً بطباعه، ساخطاً لها، حامداً لها في غيره، فهو متقلب بين العصمة والخذلان، فإن قابلته العصمة أصاب، وإن قابلته الخذلان أخطأ، ومفتاح الجهل الرضا، والاعتقاد به، ومفتاح العلم الاستبدال مع إصابة

(١) المصدر (٥٤) تحف العقول قال النبي ﷺ في جواب شمعون بن لاوي بن يهودا من حوار عيسى عليه السلام حيث قال: أخبرني عن العقل ما هو؟ وكيف هو؟ وما يتشعب منه وما لا يتشعب؟ وصف لي طوائفه كلها فقال ﷺ: إن العقل عقال...
(٢) المصدر (٧٠) عن مصباح الشريعة.

موافقة التوفيق، وأدنى صفة الجاهل دعواه العلم بلا استحقاق، وأوسطه جهله بالجهل، وأقصاه جحوده العلم، وليس شيء إثباته حقيقة نفيه إلا الجهل والدنيا والحرص، فالكل منهم كواحد، والواحد منهم كالكل»^(١).

ومن وصية موسى بن جعفر عليه السلام لهشام بن الحكم ملتقطات منها تالية: «يا هشام من سلط ثلاثاً على ثلاث كأنما أعان هواه على هدم عقله: من أظلم نور فكره بطول أمله، ومحا طرائف حكمته بفضول كلامه، واطفاً نور عبرته بشهوات نفسه، فكأنما أعان هواه على هدم عقله، ومن هدم عقله أفسد عليه دينه ودنياه - يا هشام! كيف يزكو عند الله عملك وأنت قد شغلت عقلك عن أمر ربك، وأطعت هواك على غلبة عقلك -

يا هشام! الصبر على الوحدة علامة قوة العقل، فمن عقل عن الله تبارك وتعالى اعتزل أهل الدنيا والراغبين فيها، ورغب فيما عند ربه، وكان الله أنسه في الوحشة، وصاحبه في الوحدة، وغناه في العيلة، ومعزة في غير عشيرة»^(٢).

وهناك قصار من الكلمات حول العقل هي طوال في معناه ومغزاه كـ «العقل مركب العلم»: «الإنسان بعقله» «الإنسان عقل وصورة، فمن أخطأه العقل ولزمته الصورة لم يكن كاملاً، وكان بمنزلة من لا روح فيه»، «العقل رسول الحق»، «العقول أئمة الأفكار والأفكار أئمة القلوب والقلوب أئمة الحواس، والحواس أئمة الأعضاء»، «العقل أقوى أساس»، «العقل حسام قاطع»، «ثمرة العقل لزوم الحق»، «ثمرة العقل الاستقامة»، «العقل حيث كان آلف مألوف»^(٣).

(١) المصدر (٧٢) عن مصباح الشريعة.

(٢) المصدر (٨٤ - ١٠٦).

(٣) والعناوين على الترتيب غرر الحكم ٢٠ - ١٤ - البحار ٧/٧٨ عن كتاب مطالب السؤول - غرر الحكم ١٥ - مستدرک النهج - الغرر ٣١ - الغرر ٣١ - الغرر ٢٠ - الغرر ١٥٨ - الغرر ١٥٨ - الغرر ٢٧.